مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢١ المجلد١١/ العدد ١

المنهج العلمي في فلسفة أوجست كونت

أ.م.د. حامد عبد الحمزه محمد علي

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

البريد الإلكتروني Email : Hamedaiail30@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المنهج العلمي،الفلسفة الوضعية، قوانين العلم.

كيفية اقتباس البحث

محمد علي ، حامد عبد الحمزه، المنهج العلمي في فلسفة أوجست كونت، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢١، المجلد:١١ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The scientific method in Auguste Conte's philosophy

Dr. Hamed Abdul Hamza Mohammed Ali
University of Babylon - College of Education for Humanities
Department Of History

Keywords : scientific method ,positivism ,The laws of science.

How To Cite This Article
Mohammed Ali, Hamed Abdul Hamza, The scientific method in Auguste Conte's philosophy, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2021,Volume:11,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

It must be said that positional mental philosophy presents laws that are in harmony with the human mind and are still searching for approaches that have been researched in a different way. Since every actor, especially every living being, can be seen under two relationships - staticity and movement - that is, under certain conditions or during work, it is clear that all considerations place themselves under one of these relationships, and there is no escape from leaving them in order to obtain knowledge in its true form. The positive philosophy of Kunt went to the search for the independence of the curriculum in the research, and this allowed him to talk about a systematic approach that makes him a true tribal in the curriculum and to draw from him his scientific perceptions that he took as a way for him in his philosophy. He wanted the sociology curriculum to be based on common grounds with different natural sciences approaches in observing, experimenting, comparing, or extrapolating, then this trend evolved to be the positive factor for Western researchers in the humanities in the nineteenth century, despite the emergence of other philosophies other in the direction The result reached

by it is the law of the three phases in the development of humanity, and it went to the development of the individual and his capabilities, societies, and the rest of the other sciences. to.

المستخلص

لا بد من القول ان الفلسفة الوضعية العقلية تقوم بعرض القوانين المنسجمة مع العقل البشري والتي ما زالت تبحث عن مناهج تم البحث بها بطريقة مختلفة . حيث ان كل فاعل وخصوصا كل كائن حي ، يمكن ان ينظر اليه تحت علاقتين – السكونية والحركة – أي تحت شروط معينة او أثناء العمل ، فمن الواضح ان كل الاعتبارات تضع نفسها تحت احدى هاتين العلاقتين ، ولا مناص من الخروج منهما سعيا لتحصيل المعرفة بصورتها الحقيقية. والفلسفة الوضعية عند كونت ذهبت الى البحث عن استقلالية المنهج في البحث وان هذا أتاح له ان يتحدث عن منهج وضعي يجعله قبليا حقيقيا في المنهج وان يستمد منه تصوراته العلمية التي اتخذها سبيلا له في فلسفته. وأراد لمنهج علم الاجتماع ان يقوم على أسس مشتركة مع مناهج علوم الطبيعة المختلفة في الملاحظة أو التجربة أو المقارنة أو الاستقراء ، ثم تطور هذا الاتجاه ليكون العامل الايجابي عند الباحثين الغربيين في العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر ، على الرغم من نشوء فلسفات أخرى مغايرة في الاتجاه. والنتيجة التي توصل كونت اليها هي قانون الأطوار الثلاثة في تطور الإنسانية ، وذهب الى تطور الفرد وامكانياته ، والمجتمعات ، وباقي العلوم الأخرى، ففيها جميعا تتجلى موضوعات الانسان والتي تذهب الى دراسة النسبي عوضا عن دراسة المطلق ، ومعرفة القوانين تحل محل البحث عن العلل.

المقدمة

قامت الدراسة **مشكلة الدراسة** في بحثنا الموسوم **(المنهج العلمي في فلسفة أوجست كونت)** على البحث عن استعمالات المنهج العلمي وأهميتها في العلوم ، بخاصة العلوم الانسانية ، في فلسفة أوجست كونت التي عرفت بالوضعية ، الذي بحث في أهمية العقل الذي يستطيع ادراك البراهين والتسليم بها ، عبر استخدام المنهج العلمي الذي يبحث في الوقائع الجزئية لتحديد طبيعة المعرفة الموضوعية ، مع علمنا ان كونت هو المؤسس الحقيقي للمذهب الوضعي ، وهذا المذهب ذهب الى التوحيد بين المعرفة والعلم ، وهذا الرؤية كانت من قبل قد أثمرت في وضع أصول المنهج التجريبي (الاستقرائي) وكذلك المنهج الفلسفي العقلي على يد رينيه ديكارت ، وتتبعنا في فلسفة كونت الوضعية ذلك المد من المباديء التجريبية في حقل الطبيعة وتحولها الى حقل المجتمع والظاهرات الاجتماعية ، وكذلك ايجاد مساحاتها في الفلسفة العقلية لعرض القوانين المنطبقة مع العقل البشري ، فكانت رؤية كونت الفلسفية للمنهج العلمي قد انتجت دروسا في

التنسيق بين مناهج العلوم المختلفة ، ليعطي كل علم من العلوم مكانته في البرنامج الوضعي ، وبهذا تتحول علوم الهندسة والميكانيكا والفلك الى علوم وضعية عبر النظر الى كل الظواهر على انها خاضعة لقوانين ثابتة . وانتهت فلسفة كونت الوضعية في **أهميتها** في مجال بحثنا هذا الى محاولة وضع منهج علمي موحد لكافة العلوم تخضع لآلياته العلوم الانسانية كما هو الحال في العلوم الطبيعة .

وتضمن البحث **مبحثين** : حمل الاول عنوان **أوجست كونت والتأسيس لمنهج علمي موحد** ، وفيه تم تسليط الضوء على سعي أوجست كونت لمحاولة وضع منهج علمي موحد لكل العلوم سواء طبيعية أم انسانية ، عبر البحث في تفصيلات الحيثيات الأولى في هذه العلوم ووضع قوانين ثابتة فنتج عن ذلك نسق جديد للمعارف العلمية المتصلة بالانسان والطبيعة معا وفقا لمنهج علمي موحد . وفي **المبحث الثاني** تم دراسة تمظهرات المنهج العلمي في فلسفة كونت عبر دراسة الطور الوضعي الذي دعى اليه ، والبحث عن اشتغالات هذا المنهج في فلسفته الوضعية وتحديد خصائصه الاساسية والالتزام بشروط العلم ، وتحديد اطوار المعرفة (الملاحظة والنظريات والقوانين) وقوانينها المتمثلة بـ(قانون الاستاتيك السكون والديناميك الحركة) فظهر منهجه العلمي في الفيزياء الاجتماعية – علم الاجتماع ، باسلوب مضاد للفلسفات السلبية ، وكذلك في الجانب البايلوجي والتاريخي وغيرها .

المبحث الأول

أوجست كونت والتأسيس لمنهج علمي موحد

"لو كانت جميع العقول قادرة على فحص العقائد لاستطاعت جميعا ان تدرك براهينها وان تسلم بها جميعا ".ان صاحب هذه المقولة أوجست كونت (١٧٩٨–١٨٥٧) أول من حاول بالموضوعية التجريبية نقد الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي ،وسار في الاتجاه الذي سار فيه هيوم David Hume (١٧١١ – ١٧٧٦) [١]، وستيورات مل، بالتأكيد على أهمية الوقائع الجزئية لتحديد طبيعة المعرفة الموضوعية ، John Stuart mill (١٨٠٣ – ١٨٧٣) [٢]، فهو يدحض وبصراحة تكرار دعوى المذهب الروحي في البلوغ عن طريق الملاحظة الداخلية والتفكير في الذات الى مبادئ العقل ،ولا يستهدف هذا النقد علم النفس باعتباره علما لظاهرات الشعور بقدر ما يستهدف نظرية المعرفة مبنية على الملاحظة السيكولوجية ، فليس للعقل ان يكشف مبادئه الخاصة الا اذا احتذى بالعالم الخارجي فيها الى الذات . ويتكافل هذا التصور للعقل مع التصور القانوني للعلم . ولهذا يبحث عن آلية عقلية تقرر مجموعة من الحقائق التي تمس الإنسان

والمجتمع والعالم والتي يسلم بها الناس كافة ، لان الآراء والعقائد والأفكار التي تتصل بموضوعات الإيمان أصبحت في حالة فوضى ،كما ان حالتها الطبيعية والسليمة تنحصر في تنظيمها ، لأن المجتمع الذي يعيش حالة اضطراب لا ترجع الى مجرد أسباب سياسية ، بل الى نوع من الاضطراب الخلقي ، ويرجع هذا الاضطراب بدوره الى نوع من الاضطراب العقلي ، أي الى عدم وجود مبادئ مشتركة بين جميع العقول ، كما يرجع الى اخفاء الأفكار والمعتقدات التي يسلم بها الناس كافة ، ذلك لأنه لا يكفي في بقاء المجتمع ان يوجد نوع من الانسجام العاطفي أو المصالح المشتركة بين أعضائه ، بل يجب ان يوجد أولا اتفاق عقلي يتحقق في مجموعة قواعد مشتركة . [٣]

أوجست كونت هو المنشيء الحقيقي للمذهب الوضعي ، فعنده نجد كل تداعيات المنهج العلمي الموحد ، وهو بمثابة الينبوع العميق لألوان هذا التيار الكبير أو مظاهره الأكثر تمييزا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه . ففي الوقت الذي يعتقد فيه انه يطلق كلمة (الوضعية) على تصور وتنظيم للحياة اصليين تماما ، فأنه يذكر من بين أسلافه الحقيقيين (أمير المفكرين الخالد أرسطو) فيما يتصل بالعصر القديم ، وبيكون وديكارت Rene Descartes (١٥٩٦ -١٦٥٠)[٤]، في العصر الحديث ، وأخيرا هيوم وكانت وكوندرسيه(1794 - 1743) Condorcet [٥] ، يكملهم دي مبستر وبيشا وجال ، أسلافه الستة المباشرون ، لكن ما يستدعي دهشتنا هو اغفاله اسم سان سيمون .[٦]

الفلسفة الوضعية هي نسق المعارف العلمية المتصلة بالإنسان والطبيعة معا وفقا (لمنهج وحيد).[٧] وعند كونت ، هي جملة العلوم الواقعية . ويذكر ستة علوم أساسية مرتبة هكذا : الرياضيات ، علم الفلك ، علم الطبيعة ، علم الكيمياء ، علم الحياة ، علم الاجتماع . هذه العلوم مكتسبة بالاستقراء ، حتى الرياضيات فانها تعد علما عقليا بحتا لان موضوعها من البساطة بحيث نغفل عادة أصله الاستقرائي ، ولكن ليس هناك علم عقلي بحت . ومبدأ هذا التصنيف تزايد التركيب وتناقص الكلية ، أي النسبة العكسية بين المفهوم واللا صدق [٨]، فكلما كان المفهوم بسيطا كان اللا صدق واسعا ، والعكس بالعكس . وهذا التصنيف هو أيضا تصنيف تعقل متناقض وتجربة متزايدة ، أي كلما نزلنا درجة قل مجال العقل البحت وازداد شأن التجربة . فالرياضيات في دراسة الجدول لا تتبع علما أخر ويتبعها باقي العلوم لان موضوعاتها وقوانينها اكثر بساطة وكلية ، وعلم الاجتماع في اخر الجدول يتبع سائر العلوم ولا يسيطر على علم لان موضوعاته وقوانيته اكثر تعقدا وتخصصا ، وبالنزول من الرياضيات الى علم الاجتماع نرى التركيب يتزايد والكلية تتناقص . وذلك لان الرياضيات لا تنظر لغير الكم المجرد ، وهو ابسط

الأشياء واقلها تعيينا ، فيضيف إليه علم الفلك معنى القوة فيدرس الأجسام الحاصلة على قوة جاذبة وهي الأجرام السماوية ، وعلم الطبيعة يضيف الكيف الى القوة فيدرس القوة المتمايزة بالكيف ، كالحرارة والضوء ، وتضيف الكيمياء الخصائص الملازمة لكل نوع كيميائي من الأجسام ويضيف علم الحياة الى المادة اللاعضوية التركيب العضوي والظواهر الخاصة به ، ويضيف علم الاجتماع ، منشأ بين الأحياء من روابط مستقلة عن تركيبها ولئن كانت جميع العلوم محصلة بمنهج واحد ، الا ان هذا المنهج يتعدل في كل علم تبعا لموضوع هذا العلم .[٩] كانت الوضعية توحد بين المعرفة وبين العلم توحيدا تاما ، فلم يكن العلم في نظرها هو السلطة الوحيدة في كل أمور الحقيقة أو المعرفة فحسب ، بل ان أية تجربة لا تقبل التحقيق العلمي كانت ترد الى فئة الأقوال المنعدمة المعنى ، بل الى فئة اللاوجود . ولقد أدت وجهت النظر القطعية هذه ، وهي نظرة لم يكن من الممكن ان تنشأ إلا عندما كان العلم الحديث في عنفوان الثقة بالنفس ، التي تتصف بها فترة المراهقة – أدت بطبيعة الحال الى استثارة سخط كل أولئك الذين تبدو لهم تجارب الإنسان الأخلاقية أو الفنية أو الدينية تجارب حقيقية ، بل تجارب لها مغزاها ودلالتها . [١٠]

سبق موضوع التجربة وتداعياتها هذا بروز مسألة الذات والموضوع في العصر الحديث ضمن التوجهات الفلسفية المتميزة التي سادت خلال القرن السابع عشر ، وانصبت على المعرفة ومناهج البحث العلمي ، كمبحث جديد من مباحث المنطق ، والتي أثمرت في وضع أصول المنهج التجريبي (الاستقرائي) من قبل فرانسيس بيكون ، والمنهج الفلسفي العقلي على يد رينيه ديكارت . فقد أثيرت إشكالية الذات والموضوع في المعرفة في ثنايا فلسفة ديكارت التي تقوم على المبدأ الأساس (انا أفكر إذن انا موجود) وما يتضمنه من صيغة فكرية ذاتية . فالحقيقة اليقينية الأولى في الواقع هي وجود ذات تفكر وتتصور وتشك وتتذكر . وعدا ذلك يستمد ماله من وجود (مزعوم)في تلك الذات المفكرة . ولكن ذلك لا يعني نفي الموضوع الخارجي في المسألة المعرفية ،بل ترجيح لجانب الذات على جانب الموضوع[١١]،فيها . ومن ثم قام منذ ذلك الحين التعارض بين الذاتية المعرفية كجوهر منفصل عن الواقع الخارجي الذي يشكل موضوع تفكيرها .وقد انعكس ذلك التعارض بين الذات والموضوع ، كمبحث أبستمولوجي ، على مناهج البحث العلمي ، فتبنت مناهج العلوم الطبيعية جانب الموضوعية التي تقول بها النظرية التجريبية في المعرفة . فهذه العلوم لا ترى وجود أي علاقة بين موضوع المعرفة العلمية وبين الباحث الذي يوجه جهده للوصول الى هذه المعرفة ، ومن ثم فأن سبيل هذه المعرفة قائم على الموضوع . أما مناهج البحث في العلوم الإنسانية ،التي بدأت بالتبلور منذ بداية القرن التاسع عشر ، فقد داخلها

اتجاه الموضوعية أول الأمر من قبل الفلسفة الوضعية الجديدة التي صاغها أوجست كونت [١٢] ، الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ، والتي أرادت لمنهج علم الاجتماع ان يقوم على أسس مستمدة من مناهج علوم الطبيعة ، من ملاحظة وتجربة ومقارنة واستقراء يعتمد المنهج التاريخي . ثم تطور هذا الاتجاه ليسيطر جو من التفكير الايجابي على الباحثين الغربيين في العلوم الإنسانية طوال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر . ويعني التفكير الايجابي في العلوم الإنسانية الاتجاه الذي يرى ان تقدم هذه العلوم مرتبط بصياغة مناهج بحث لها مماثلة لمناهج العلوم التجريبية الطبيعية لكي يمكن ان تحرز تقدما مماثلا لها . [١٣]

ورأى كونت ان الثقافة الرياضية ضرورية لعالم الاجتماع ، لأنها تعوده على طريقة التفكير الوضعي ، وهو يعترف مع ذلك بأن الظواهر الاجتماعية لا تتضمن استخدام الأعداد ولا المعادلات الرياضية ؛ بل لا تستخدم حساب الاحتمالات بصفة خاصة . وقد وصف محاولة ((لابلاس))[١٤]، في هذا الصدد بأنها محاولة سخيفة ، وهي تلك المحاولة التي اقتبسها منه فيما بعد بعض علماء الرياضة . ويروق له ان يستشهد بها لكي يدل على ضعف الروح الفلسفية عند علماء الهندسة والواقع انه يرى ان تطبيق حساب الاحتمالات على الحوادث التاريخية معناه اغفال ان هذه الظواهر تخضع لقوانين ثابتة كالظواهر الأخرى . وحينئذ إذا كانت الأساليب الرياضية لا تزود علم الاجتماع بأداة فعالة فأن هذا العلم يستطيع استخدام الاساليب المتبعة في علوم الطبيعة والتاريخ الطبيعي . وأول هذه الأساليب هي الملاحظة . ويلوح ان ملاحظة الظواهر الاجتماعية أمر من السهولة بمكان ؛ لان هذه الظواهر مألوفة لدينا جدا ، ولان من يلاحظها يشترك فيها الى حد ما . ولكن الحقيقة هي ان هذين الظرفين يجعلان الملاحظة الاجتماعية من اشق الأمور . فالمرء لا يلاحظ جيدا إلا بشرط ان يضع نفسه خارج الشيء الذي يلاحظه . فينبغي إذن ان تظهر لنا الظواهر الاجتماعية على انها موضوعية ، ومنفصلة عنها ، ومستقلة عن حالات شعورنا الفردية . وليس أصعب من تحقيق هذا الأمر . وللحصول على هذه النتيجة المضادة للنظرة التلقائية ولضمان الاحتفاظ بها على وجه الخصوص ، يجب ان يتدخل العقل لاعداد ما يريد ملاحظته . واذا كان العالم غير مزود في اثناء ملاحظته الظواهر بنظرية سابقة تمهد له السبيل فأنه يعجز في الأغلب عن معرفة الشيء، يجب عليه ملاحظته في الظواهر التي تمر امام عينه . فنحن لا نستطيع اذن ان نفهم الظواهر اللاحقة الا بربطها بالظواهر السابقة . وهنا موطن الصعوبة الكبرى في علم الاجتماع ، حيث نضطر دائما على نحو ما الى تحديد الظواهر وقوانينها في ان واحد . اذ ان الظواهر تظل عقيمة – بل غير ملحوظة ، على الرغم من إننا نسبح في وسطها – إذا لم تكن لدينا من قبل المبادئ العقلية

الضرورية التي تمكننا من فهمها . وبناءا على ذلك ، لا يمكن ان يكون للظاهرة الاجتماعية معنى علمي الا إذا ماثلنا بينها وبين ظاهرة أخرى . والظاهرة المنعزلة تظل شبيهة بمجرد أقصوصة يمكن تشبع الرغبة في ((حب الإطلاع الذي لا طائل تحته)) ، ولكنها لا تصلح ان تكون موضوعا لدراسة عقلية . وهناك عدد لا حصر له من الظواهر التي تصلح لان تكون مادة لعلم الاجتماع ، كالعادات التي تكون شديدة التفاهة بحسب الظاهر ،والآثار بجميع أنواعها ، وتحليل اللغات ومقارنتها . ولكن يجب في نهاية الأمر ، ان تهيمن وجهات نظر عامة على ملاحظة جميع هذه الظواهر . وبهذا الشرط وحده يستطيع العالم الذي اعد أعدادا عقليا كافيا ان يحول الظواهر التي تمر أمام عينه الى معلومات اجتماعية وذلك عن طريق استخدامه لنقط الاتصال المباشر أو غير المباشر بالنظريات العليا في العلم ، وبفضل مابين المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية من ارتباط . [١٥]

والمنهج عند كونت ليس موضوع دراسة منفصلة عن البحوث التي (يستعمل فيها) والحال ان علاقة الاستعمال تفترض الاستقلال المستمر بين العمل والمستقبل ، بالرغم من التهندم الهش بينهما . ويعني هذا الاعتراف في النهاية بخارجية المنهج عن البحث وان هذا لصحيح الى حد جعل كونت يتحدث فيه عن منهج وضعي يتصور ان نتمكن فيما بعد من ان يجعله قبليا حقيقيا في المنهج . ويرى ان الغاية الأساسية لدراسة المنهج هي : ان نصل الى تكوين نسق جيد من العادات العقلية وذلك بشكل لا نحس فيه بأية مفاجأة عندما نقرأ في عام ١٨٥٦ في التأليف الذاتي (La Snthese Subjeetive) ، الذي كان عنوانه الفرعي نسق المنطق الوضعي ، او رسالة في الفلسفة الرياضية ، والمقطع الثاني يتكون المنهج الشامل من ثلاثة عناصر : الاستنباط والاستقراء والبناء ، التي يتمثل تعاقبها في تصانيفها .[١٦]

الجديد الذي جاءت به فلسفة كونت الوضعية ، هو مد هذه المباديء التجريبية من حقل الطبيعة الى حقل المجتمع والظاهرات الاجتماعية . لقد تحول الاجتماعي الى ظاهرة اجتماعية موضوعية يمكن عزلها ، ووصفها ، وإظهار علاقتها بغيرها من الظواهر ، والتعبير عن ذلك علميا تماما كما نفعل بأزاء اية ظاهرة فيزيائية مثلا . الا ان ما لم يبلغه او ينجزه كونت – لأنه ظل فعليا في إطار الفلسفة الوضعية – تحقق منهجيا على أيدي دوركهايم في محاولته ترجمة المعطيات والنتائج الاجتماعية في معادلات موضوعية عالمية دقيقة تقارب ما هو كمي ، ودراسته(الانتحار) الصادرة في حدود سنة ١٩٠٠ هي الى الان نموذج للمنهج السوسيولوجي العلمي . هو ذا المناخ ، المنهجي والفلسفي ، التجريبي الوضعي المفرط الذي ساد العقل العلمي الغربي منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين . وتتضاف الى انجازات

المرحلة العلمية والمنهجية سمة ثانية ، بالاضافة الى التجريبي الوضعي ، وهي : التاريخي بل والديالكتيكي احيانا فبتأثير من هيجل Hegel (١٧٧٠ – ١٨٣١) [١٧]، – ورغم ما يرمى به من مثالية – جرى تكريس التاريخ أو الزمن جزءا بنيويا من تكوين كل واقع أو ظاهرة أو فكرة ، بل من كل كائن أيضا . لقد تبين ان الجدل التاريخي الصاعد (والحلزوني) أي الديالكتيكي ، والذي طبقه هيجل على تصور العقل او الروح ، له وجوده في تطور ظاهرات الطبيعة (وكائناتها) المجتمعية وعلاقتها والانسان وتطوره بعامة (علما الانثروبولوجيا والحضارات) [١٨].كذلك فأن ما يرتبط بموضوعنا هو اهتمام كونت بـ (البيولوجيا) biologie [١٩]

وقد تعلم كونت إحساسا مرهفا بالترابط العضوي الذي يميز كل البحوث في البيولوجيا ، فأنه يظهر ، في كل مرة يتطلب فيها عرض المراحل الكبرى التمهيدية لازدهار الفكر الوضعي ، قادرا بصورة ممتازة على انجاز لوحات من تاريخ البيولوجيا ، من بينها صفحة من الدرس ٥٦ من الدروس تتعلق بعلم الطبيعة القرن الثامن عشر .[٢٠]

علينا ان نتصور ان ليس هناك ثمة قواعد لتوليد فكرة سليمة خالصة – بمناسبة ملاحظة معلومة ، فكرة تكون بالنسبة الى المجرب نوعا من الاستباق الحدسي للعقل تجاه بحث ناجح . واذا ما نبتت الفكرة ، يمكن فقط ان تقرر كيف ينبغي إخضاعها لتعليمات محددة وقواعد منطقية دقيقة ليس في وسع أي مجرب ان ينحرف عنها ، لكن ظهورها كان تلقائيا تماما ، وطبيعتها فردية . ان شعورا خاصا وامرا خاصا هو الذي يكون الأصالة او الاختراع او العبقرية عند العالم . والفكرة الجديدة تبدو كعلاقة جديدة او غير متوقعة يدركها العقل بين الأشياء .[٢١]

حيث تقدم دراسة الفلسفة الوضعية العقلية الوحيدة لعرض القوانين المنطبقة للعقل البشري ، التي تبحث حتى ألان بمناهج غير ملائمة . حيث ان كل فاعل وخصوصا كل كائن حي ، يمكن ان ينظر اليه تحت علاقتين – السكونية والحركة – ، أي تحت شروط معينة او أثناء العمل ، فمن الواضح ان كل الاعتبارات تضع نفسها تحت احدى هاتين العلاقتين . فتنطبق هذه التصنيف على الوظائف العقلية . فأذا نظرنا الى هذه الوظائف من جانبها السكوني – أي اذا اعتبرنا الشروط التي توجد فيها هذه الوظائف – كان علينا ان نحدد الظروف العضوية للحالة التي يضمنها البحث مع التشريح والفيزيولوجيا . واذا نظرنا من الجانب الحركي ، كان علينا ان ندرس تطبيق ونتائج القوى العقلية للجنس البشري ، التي ليست اكثر ولا اقل من الموضوع العام للفلسفة الوضعية . وبالاختصار ، بعد النظر الى النظريات العلمية جميعها كوقائع منطقية عظيمة متعددة ، فأننا لا نستطيع ان نصل الى معرفة القوانين الا بالملاحظة الكاملة لهذه الوقائع وبما ان هذه القوانين هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر العقلية ، فهذا يستبعد

السكولوجيا الوهمية التي هي أخر صورة من صور اللاهوت . انها تتظاهر بأن على يدها سيتم اكتشاف قوانين للعقل البشري بأن تتأمله في ذاته ، أي بفصله عن علله ومعلولاته . مثل هذه المحاولة التي تقدم على انها تحد ، للدراسة الفزيولوجية لأعضائنا العقلية .ولملاحظة المناهج العقلية للعمليات .[٢٢]

كانت القضية الأساسية في الفلسفة الوضعية عند (كونت) هي مطلبه ان يقتصر العلم على وصف المظهر الخارجي للظواهر . وقد أكد بناءا على قوة هذه القضية – ان (الميتافيزيقا) – أي التعاليم عن جوهر الظواهر – ينبغي ان تلغى . وحاول ان يركب القدر الهائل من المعلومات التي يقدمها العلم الطبيعي .[٢٣]

وما الدروس في الفلسفة الوضعية[٢٤]. التي قدمها (أوجست كونت) الا بمجهود واسع للتنسيق بين مناهج العلوم ، ومما يزيد في ضرورة هذا التنسيق ان كونت لا يعترف بقيمة عامة او منهجية للمنطق بما هو كذلك . والرياضيات بطبيعة الحال . هي التي تقدم اطر الاستدلال اللازم للعلوم الأخرى واشكاله . وبصفة عامة ، تستعير هذه العلوم من بعضها بعضا طرائقها الخاصة بها . وهذه الطرائق هي ما يعمل (كونت) على تمييزه وتوضيحه ليعطي كل علم مكانه في البرنامج الوضعي . وعلى هذا النحو تتحول الهندسة والميكانيكا والفلك الى علوم وضعية . وأية ذلك انها تحليلية ولا تستلزم أي فرضية حول طبيعة الأجسام .ومن الانتصارات التي أحرزها الروح الوضعي في هذا الاتجاه اختزال(فورييه) Fourier Charles (١٧٧٢-١٨٣٧)[٢٥]، لعلم الحرارة الى نظرية رياضية خالصة . وبالمقابل . ليست الطبيعيات بعلم وضعي الا بصورة ناقصة وهذا بالأخص حال الكيمياء لان التحليل الرياضي لا يسري عليها . وعلى كل حال ، ان حدود فكر (كونت) تتجلى أكثر فأكثر للعيان طردا مع تقدمه في سلسلة العلوم .[٢٦]

ويؤكد القول، بأنه يستحيل بالنسبة لنا ان نكشف عن العلل والجواهر الأصلية . لأننا لا نستطيع ان نلاحظ سوى الوقائع التي تتجلى لحواسنا . وعلى اية حال إننا نستطيع ان نفعل ذلك . فنحن نستطيع ان ننتبه الى الظروف التي تحدث وفقا لها الظواهر ، ونصوغ بالتالي قوانين لهذه الظواهر . وقانون الجاذبية هو مثال ممتاز لذلك . فنحن لا نعرف ما عساها ان تكون المادة بالفعل . لكن عندما نستخدم جذب الأجسام الى الأرض بوصفه معيارا للقياس ، فأننا نستطيع ان نصوغ قانونا مطردا ، من حيث انه يهم ، على الأقل ، ظواهر أرضية . ان الاختلاف بين المذهب الوضعي عند (كونت) والمذهب الشكي عند هيوم هو أمر ذو أهمية خاصة . فكونت تشكك مثل هيوم في إمكان تحصيل أي معرفة بالعلل المجهولة للإحساسات ، او ما يطلق عليه كانت (الأشياء في ذاتها) . ويرى (كونت) من ناحية أخرى، بصورة أكثر وضوحا مما رأى هيوم

ان العلم يمكن مع ذلك ان يخبرنا عن أشياء كثيرة ، فهو يمكن ان يخبرنا عما يحدث ، ويمكن ان يصوغ قوانين تمكننا من التنبؤ بما سيحدث . وعندما نعرف تلك القوانين ، نستطيع ان نخطط للمستقبل ، ونستطيع في بعض الحالات ان نغير مجرى الاحداث ، ونتحكم بصورة فعالة في حالات حولنا ، ونخطط لمجتمع افضل . وفي مقابل المذهب الشكي الذي يوجه الانتباه الى ما لا نستطيع ان نعرفه ، يأمرنا المذهب الوضعي بأن نجمع كل المعرفة التي تكون متاحة لنا بالفعل ، ونستخدمها من اجل تقدم البشرية . ان العقبات الأساسية للاصلاحات الاجتماعية هي : اولا : لم تصل كل العلوم الى أساس وضعي كامل ، وثانيا : لابد من ابتكار علم جديد ، اسماه في البداية (الفيزياء الاجتماعية) ، ثم اسماه بعد ذلك (علم الاجتماع) ، وهي كلمة من صكه الخاص . [٢٧]

المحور الثاني : تمظهرات المنهج الوضعي عند أوجست كونت

لقد تمعن كونت جيدا في الفلسفة الوضعية ، وهذا الطور الوضعي ، هو الذي دعى إليه (كونت) . وقد حدد خصائصها على النحو التالي : ان الخاصية الأساسية للفلسفة الوضعية هي النظر الى كل الظواهر على انها خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة ،اكتشافها الدقيق وردها الى اقل عدد ممكن هو الهدف من كل جهودنا ، في الوقت الذي نعتبر فيه ان البحث عن ما يسمى بالعلل الأولى او النهائية هو أمر غير مقبول وخال من كل معنى ، و(كونت) يريغ الى تطبيق منهج هذه الفلسفة على علوم الجماعات عامة ، وما يسمى بعلم الاجتماع بخاصة : إذ رأى ان العلوم الاجتماعية كانت ، لاتزال في أيامه في عهد الطفولة ، او فيما يناظر الطورين اللاهوتي والميتافيزيقي بالنسبة الى تطور الفكر الإنساني ، ذلك ان حالها اليوم (في أيامه) كحال علم التنجيم بالنسبة الى علم الفلك ، او علم الصنعة بالنسبة الى علم الكيمياء ، والعقل في هذه المرحلة السابقة على الطور العلمي يكون (مثاليا في السير ، مطلقا في التصور، اعتباطيا في التطبيق) وعلم الاجتماع ، كي يكون علما بالمعنى الحقيقي أي الوضعي ،عليه ان يقاوم هذه الصفات الثلاث : المثالية[٢٨]، الإطلاق[٢٩]، الاعتباطية . ان عليه ان ينبذ الأفكار المطلقة . وان يحصر همه في التنسيق بين الوقائع الاجتماعية المشاهدة ، وتكميل أدوات البحث ، وعليه ان يقصر نفسه على ما هو نسبي دون ان يطمح ببصره الى معرفة الحقيقة الواقعية الدقيقة للكشف عنها . ومادام علم الاجتماع سيبحث في تقرير القوانين التي تسير عليها الجماعات في مجتمعاتها ، فأنه سيكون في وسعه التنبؤ ، شأنه شأن كل العلوم الوضعية . وقوام منهج علم الاجتماع أربع وسائل : الملاحظة وهي أساسها كلها ، والتجربة ، والمقارنة ثم المنهج التاريخي ،

وهو خاص بعلم الاجتماع ، ويرى كونت ان التجريب ممكن في علم الاجتماع رغم ما يبدو لأول وهلة من استحالة .[٣٠]

وهل بوسعنا ان نطالب علوم الإنسان والمجتمع وعمرها بضعة عقود من السنوات بما فشلت علوم الطبيعة في الالتزام به ، بل بما لم تعد مطالبة به وعمرها لا يقل عن الثلاثمائة عام ؟ وهل يلزم عن الفشل في الالتزام بمائة في المئة من الشروط العلمية لعلم ما تخليه عن صفة العلم ؟ هذه الأسئلة والإشكاليات وما ارتبط بها من صعوبات – حتى في العلوم الطبيعية والاختبارية – هي نموذج للصعوبات المتوقعة حيال كل محاولة توفير إجابة ابستمولوجية قاطعة في موضوع (علمية العلوم الإنسانية والاجتماعية . يكفي القول في (علمية) هذه العلوم أنها تلتزم مطلبين اثنين أساسيين في شروط العلم وهما : أولا : سعيهما الحثيث وبكل الوسائل الى إخضاع موضوعهما للسيطرة والتقنين ، وصولا اذا امكن للقياس والتكميم . وهو تماما ما حاولت العلوم الطبيعية انجازه وبنجاح حيال موضوعها ، وهو الطبيعة . وإذا قيل ان درجة النجاح متباينة كثيرا فنحن نضيف : حتى ألان . فعمر (العلم) في اقدم العلوم الإنسانية والاجتماعية – علم النفس – لا يتجاوز المئة عام الا قليلا . وما تحقق في الفترة تلك على مستوى علمية المنهج والنتائج ليس باليسير . وكذا في بعض العلوم الاجتماعية . اما ثانيا : فهو المطلب الذي سعت العلوم الإنسانية والاجتماعية خلفه بقوة واصرار : المنهج ، بل المنهج العلمي . لقد ضربت عاصفة المنهج العلمي ، العلوم الاجتماعية بوضوح ، بل بسهولة – في علم الاجتماع ، الديمغرافيا ، الادارة ، الاثنولوجيا ، الانثروبولوجيا ، وسواها . وضربت العاصفة المنهجية العلوم الانسانية – علم النفس ، علم التربية ، علم التاريخ ، بل طال المطلب المنهجي الدراسات الجينولوجية والنقدية وبعض الدراسات الجمالية والادبية . اكثر من ذلك ، لقد بلغت العاصفة المنهجية ، مبلغها ، وتسببت للفلسفة والفلاسفة بإرباك واضح واستجاب هؤلاء بطرق مختلفة متباينة . الا ان واحدة على الاقل من إرادات الفعل كانت محاولة بعض الفلاسفة – من هوسرل Husserl Edmund (١٨٥٩– ١٩٣٨) [٣١]، الى المناطقة الوضعيين في حلقة فينا بين الحربين العالميتين الأولى والثانية – إقامة فلسفة على طراز العلم ، بل توحد العلم ؛ واضحة المنهج ، دقيقة النتائج ، وخالية من التناقض والجدل الفارغ العقيم .وهذا ما نسعى لإيضاحه. ويمكن القول ان لمعظم العلوم الانسانية والاجتماعية مناهج تجريبية واضحة اليوم .وان النتائج التي تتمخض عنها في حقلي الانسان والمجتمع ، لم تعد مجرد شطحات تفكير ،او حتى صور منطقية مجردة . لقد غدت نتائج وقوانين محتملة اليقين الى حد عال ، ويمكن الاستناد اليها – وهنا نجاحها الكبير – في التخطيط المستقبلي النفسي والتربوي والاجتماعي تحديدا .[٣٢]

وقد طور (كونت) الفيزياء الاجتماعية – او ما اسماه بعلم الاجتماع فيما بعد – لمقاومة الفلسفات السلبية والفوضوية التي سادت المجتمع الفرنسي من وجهة نظره . ويبدو واضحا من مصطلح الفيزياء الاجتماعية ان (كونت) سعى الى نمذجة علم الاجتماع على غرار العلوم الدقيقة . وهذا العلم الجديد – الذي سوف تكون له الغلبة في النهاية من وجهة نظره – يدرس الاستاتيكا الاجتماعية (الأبنية الاجتماعية القائمة) والديناميكا الاجتماعية (التغير الاجتماعي) وشعر كونت ان الديناميكا الاجتماعية ، أكثر أهمية من الاستاتيكا الاجتماعية ، على الرغم من ان كليهما يسعى الى الوصول الى قوانين الحياة الاجتماعية .[٣٣]

قد تمظهر المنهج الوضعي في فلسفة أوجست كونت من خلال كيفية استخدام المنهج التاريخي في علم الاجتماع ، وبالإطار العام الا وهو المنهج الوضعي . فأن علم الاجتماع علم مجرد . ولما كان التاريخ وسيلته الأساسية في البحث فأن هذا التاريخ لا يمكن ان يقتصر اذن على مجرد سرد الحوادث . وهناك طريقتان لفهم التاريخ ، الأولى عامة والأخرى خاصة . وتسيطر هذه الاخيرة على المؤلفات التاريخية التي كتبت حتى اليوم . وغرض هذه المؤلفات هو سرد طائفة من الحوادث حسب تاريخ وقوعها ، وعرضها تبعا لهذا النظام . وظل هذا النوع من المؤلفات ، ذا صبغة قصصية او أدبية . اما ذلك الشكل الاخر من اشكال التاريخ الذي لم يظهر حتى ذلك الحين فهو يهدف الى البحث عن القوانين التي تسيطر على النمو الاجتماعي للنوع الانساني . ولا بد ان يؤدي اختلاف الهدف الى اختلاف المنهج . فأن ابتعادنا عن السرد القصصي يؤدي بنا الى الاقرار بأنشاء علم نظري للتاريخ ، أي الوصول الى ربط الظواهر الاجتماعية ، وجب ان نتبع طريقا مختلفا عن ذلك تمام الاختلاف ، نبدأها بتكوين فكرة عن تقدم النوع الانساني ، ومعنى ذلك ان نلاحظ وان نربط بين أنواع التقدم الهامة التي أحرزتها الإنسانية تباعا في أهم اتجاهاتها . وبعد ذلك نشرع في تقسيم الفترات المختلفة وطوائف الظواهر التي يتعين علينا ملاحظتها . وبذلك اضطر كونت القول ، بأن التاريخ باعتباره واحدا من العلوم الإنسانية ، من الممكن ان ينطبق عليه منهج العلوم الطبيعية ، اذا ما علمنا بضرورة استحضاره الملاحظة للظاهرة الاجتماعية والتي تؤدي الى اكتشاف القوانين الحتمية في التاريخ .[٣٤]

مما أدى بالعلوم الإنسانية الى الاتخاذ من علوم الطبيعة نموذجا علميا يحتذى ، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن تبعيتها لهذه الأخيرة ، تلك التبعية التي تجلت في اقتباس المناهج والتصورات ، والتي تجلت أيضا في كون جميع المحاولات التي كانت تهدف الى إقامة علوم إنسانية بالمعنى الصحيح ، استوحت بصورة او أخرى من العلوم الطبيعية .[٣٥]

تستخدم الفلسفة الوضعية المنهج الاستقرائي التجريبي المستخدم في العلوم الطبيعية، وهو المنهج الذي أرادت هذه المدرسة الوضعية ان يكون منهجاً للعلوم الاجتماعية كلها. ذلك أن الاكتشافات الباهرة التي حققها علم الطبيعة في العصر الحديث وإمكانية هذا العلم في الامداد بالأدوات التي تزيد من رفاهية الإنسانية، وكل ذلك جعل أتباع هذه المدرسة ينشدون تطبيق المنهج التجريبي المستخدم في العلوم الطبيعية على الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى عساها ان تحقق ما أحرزته العلوم الطبيعية من نجاح وازدهار، ومن ثم جاءت هذه المدرسة ثورة عارمة على الفلسفة القبلية الميتافيزيقية التي نادت بوجود مبادئ قبلية سابقة على التجربة الحسية، ولذلك فإنها أنكرت كل تفكير ميتافيزيقي، واستبعدت البحث في العلل البعيدة ورأت ان البحث لا ينبغي أن يتعدى دراسة الواقع المحسوس دراسة قائمة على التجربة والاستقراء. ومن ثم كانت الحقائق–عند أصحاب هذا الاتجاه الفلسفي–حقائق جزئية نسبية متغيرة، وليست كلية مطلقة كما زعم أصحاب الاتجاهات العقلية من الفلاسفة.[٣٦]

في المذهب الوضعي ان الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات او قوانين ، وان المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية ، وأنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وما يسمى بالأشياء بالذات . ويدلل (كونت) على نسبية معرفتنا ، لا بنقد افعال العقل كما فعل لوك Locke John (١٦٣٢– ١٧٠٤) [٣٧]، وهيوم وكنت ،بل يعرض ما ظنه تاريخ العقل كما فعل (سان سيمون) Sainnt Simon (١٧٦٠–١٨٢٥) [٣٨] آخذا عن بوريدان Buridan (١٢٩٥–١٣٥٦)[٣٩]، فيقول ان العقل مر بحالات ثلاث : حالة لاهوتية ، وحالة ميتافيزيقية ، وحالة واقعية او الوضعية .[٤٠]

وفي المرحلة الأولى – اللاهوتية – يحاول الانسان ان يعزو الظواهر المختلفة الى قوى تفوق الطبيعة والى الله . اما النظرة الميتافيزيقية العامة الى العالم فهي عند (كونت) – تعديل للنظرة اللاهوتية ، وطبقا للمفهوم الميتافيزيقي فأن اساس كل الظواهر يوجد في الجواهر الميتافيزيقية المجردة . وقد اعقب النظرتين اللاهوتية الميتافيزيقية للعالم ، (المنهج الوصفي) الذي يرفض (المعرفة المطلقة) . (أي مادية قبل كل شيء وايضا مثالية موضوعية) – و**المرحلة الوضعية** :– في هذه المرحلة يتم تجاوز مشكلات المرحلتين على اعتبار أنها دائما عقيمة ويقبل العلم الوضعي وحده على أنه مخزن المعرفة البشرية ، وأيضا تنقسم إلى ثلاثة أطوار هي :–

أ– طور الملاحظة: وهو أن التفكير العلمي كله ملزم بقبول اختيارات الملاحظة كشواهد قاطعة على صحة أية فرضية ، غير أن العلم هو أكثر من تقارير تعتمد على الملاحظة.

ب- طور النظريات: يبدأ هذا الطور بصياغة الفرضيات التي تربط هذه الوقائع بوقائع أخرى بطريقة نظامية . فالعلم الأصيل، لا يبزغ إلا عندما تترابط الوقائع ببعضها البعض الآخر.

ج- طور القوانين: يبدأ هذا الطور عندما تفهم الظواهر المفردة على أنها جزء من أصناف كاملة تضم الظواهر الممثلة التي تخضع لعلاقات هي شبه قوانين الوجود بالمعية أو بالتعاقب بين كل أفراد الأصناف المتماثلة . فإذا كانت العلاقات التي تصفها نظرية علمية ما علاقات وجود ، فإن كونت يسمي النظرية قانوناً سكونياً " **ستاتيكياً** " أي دراسة البنية الاجتماعية من حيث العادات والتقاليد والأخلاق ، أما إذا كانت علاقات تعاقب أو استمرار ، فيسمى قانوناً حركياً " **ديناميكياً** " أي دراسة التطور والتقدم العقلي للفرد في المجتمع . إن قانون الحالات الثلاث هو آلية لتاريخ العقل البشري ، وقد يظن المرء أن هذه الآلية التي كنا نبتغيها عند كونت ، ولكن في حقيقة الأمر أن الذي يهمنا هو المرحلة الثالثة فقط ليؤدي من خلالها رسالتين : أولها أن يجعل من العلوم العقلية علوماً وضعية ، وأخرها أن ينسق شتى العلوم بما لها من قوانين ومناهج ، وما تتناوله من موضوعات للبحث ، في بناء نسقي واحد . وان الآلية التي نبتغيها والمتضمنة في المرحلة الثالثة تتمثل عند كونت بـ (**قانوني الاستاتيك** "**السكون**" **والديناميك** "**الحركة**") كآلية تعمل بها منهجية التفكير الوضعي عند كونت التي يريد أن يشرح من خلالها الرسالتين اللتين نادى بهما هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن آلية " السكون . الحركة " أيضا تحكم المرحلتين السابقتين " اللاهوت . الميتافيزيقيا " التي يطبقها عليها كونت ، من حيث أن عملية الانتقال من مرحلة إلى مرحلة هي قانون ديناميكي لأن هناك تغيراً وتطوراً وتبدلاً في طبيعة التفكير البشري عموماً، وأن ثوابت كل تفكير في أي مرحلة تمثل قانوناً استاتيكياً . والذي يجعل منهما فيما بعد عند المناطقة ثورة منهجية في علم اللغة .[٤١]

وقد حرفت قاعدة المراحل الثلاث تاريخ العلم والفلسفة .فأن التصنيف الذي اقترحه – مثلا – لم يضع في حسبانه فترة كاملة في تطور الفكر الإنساني ،وهي العصر القديم .وعلى الجملة ، فأن قاعدته كانت تقليدا فظا للمثلث الجلي الذي استعاره من (سان سيمون) . وقد طبق (كونت)قاعدة المراحل الثلاث على تصنيف العلوم ، وعلى تقسيم منهجي للتاريخ المدني .وفي علم الاجتماع .وهو مقترح اصطلاح (علم الاجتماع) استخدم تناولا بيولوجيا غير علمي .في محاولة لتفسير المجتمع . وكانت الفكرة الرجعية الأساسية في مذهبه الاجتماعي ، التأكيد بأنه لا جدوى من السعي الى تغيير النظام البرجوازي بالوسائل الثورية .واعتقد بان الرأسمالية تتوج تاريخ تطور الإنسان . ويمكن تحقيق الانسجام الاجتماعي بالدعاية للدين (الجديد) ، الذي يستعيض عن الايمان باله شخصي بالاعتقاد في كائن فائق مجرد (الإنسانية بوجه عام).[٤٢]

قانون الأطوار الثلاثة يخضع له في نظر كونت – ليس فقط تطور الإنسانية ، بل وأيضا تطور الفرد ، والجماعات ، وكل العلوم ، ففي كل هذه الأحوال والأنواع تحل دراسة النسبي محل دراسة المطلق ، ومعرفة القوانين تحل محل البحث عن العلل ، فلكونت الحق اذن في ان يعد نفسه خصوصا متابعا للنزعة النسبية عند هيوم . اذ لا يقول بأي فارق في الطبيعة بين الفلسفة وبين العلوم . والعلوم تختلف فيما بينها من حيث الموضوع اولى من ان تختلف من حيث المنهج .[٤٣]

هنا تجدر الإشارة على التأكيد إلا ان كل مفهوم من مفهوماتنا الرئيسية – وكل فرع من فروع معرفتنا – يمر على التوالي خلال ثلاثة شروط نظرية مختلفة : اللاهوتية او الخرافية ، والميتافيزيقية او التجريدية ، والعلمية او الوضعية . وبعبارة أخرى فأن العقل البشري ، بطبعه ، يستخدم في تقدمه ثلاثة مناهج للتفلسف ، تختلف خصائصها اختلافا جوهريا ، بل وتتقابل تقابلا جذريا فيما بينها ، ونعني بها : المناهج اللاهوتية ، والميتافيزيقية ، والوضعية . من هنا تنبع فلسفات ثلاث أو ثلاثة نظم عامة للمفاهيم ، بصدد إجمال الظواهر ، تستبعد كل منها الاخريات ، فالأولى هي نقطة الانطلاق الضرورية للفهم البشري ، والثانية مجرد مرحلة انتقالية ، والثالثة هي الحالة الثابتة والنهائية ،. فالمرحلة الأولى – في الطور اللاهوتي يفترض من العقل البشري ، وهو يبحث في الطبيعة الجوهرية الكائنات ، عن العلل الأولى والأخيرة (أي الأصل والغاية) للمعلولات جميعها – وبالاختصار ، عن المعرفة المطلقة – نقول ، يفترض ان كل الظواهر من إنتاج عمل مباشر لكائنات تفوق الطبيعة .والمرحلة الثانية : في الطور الميتافيزيقي – وما هو إلا تعديل للطور الأول – يفترض العقل ، بدلا من الكائنات فوق الطبيعة ، قوى مجردة ، ذوات حقيقية (أي ، تجريدات مشخصة) باطنة في كل الكائنات وقادرة على إنتاج كل الظواهر . وما يسمى بشرح الظواهر في هذا الطور ، هو مجرد إرجاع كل ظاهرة الى ذاتها الملائمة لها . والمرحلة الثالثة – في المرحلة الأخيرة ، الوضعية ، يتخلى العقل عن بحثه العقيم عن المفاهيم المطلقة ، وعن اصل الكون ومصيره ، وعن علل الظواهر ، ويشغل نفسه في دراسة قوانينها – أي علاقاتها الثابتة في التعاقب والتماثل ويكون الفكر والملاحظة مقترنين ، وسائل المعرفة في هذه المرحلة . وما يفهم ألان من حديثنا عن شرح الوقائع هو وضع روابط بين الظواهر المفردة والوقائع العامة ، التي يتناقص عددها باستمرار مع تقدم العلم .[٤٤] وقيام علم الاجتماع في عصر (كونت) جاء كضرورة اجتماعية وحاجة علمية ملحة حتمتها الرغبة في إصلاح المجتمع وإنقاذه من الفوضى الضاربة فيه، ذلك أن حالة المجتمع الفرنسي بعد الثورة اتسمت بفوضى

عقلية. فاضطراب خلقي وفساد عام .وإن انسجام المصالح المادية والمنافع المتبادلة لن تحقق الاستقرار والتقدم.

لذا فإن تنظيم أي شأن من شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين لن ينجح إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومناهج البحث وطرق التفكير . ماهية فوضى العقل : وجد (أوجست كونت) أن الفوضى العقلية ناجمة عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر : الأسلوب الأول :هو الأسلوب العلمي الذي يستعمله الناس للتفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية . الأسلوب الثاني :هو التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يستعمله الناس للتفكير في الظواهر المتعلقة بالإنسان والمجتمع . لكن كيف يمكن التوفيق بين نمطي تفكير متناقضين في وقت يسعى (كونت)إلى تحقيق وحدة المعرفة الإنسانية. بثلاث مقترحات لمواجهة الفوضى :أولا : التوفيق بين التفكيرين الوضعي والميتافيزيقي دون تناقض ،فما هو محتوى التفكيرين ؟

المنهج الوضعي

حيث يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي و يدرس الحقائق الجزئية عناصر الظواهر بحثا عن أسبابها المباشرة و يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها وهو منهج نسبي غايته كشف القوانين العلميةالمنهج الميتافيزيقي .

ويقوم على التأمل النظري والبحث المطلق. ويدرس الحقائق الكلية بحثا عن العلل الأولى ولا يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها ومنهج مطلق غايته وضع مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها.من الواضح أن مقاربة هذين النمطين من التفكير أو أي محاولة للجمع بينهما ستؤدي إلى اضطراب عقلي في أذهان الناس . لذا ينبغي التخلي عن هذه المقاربة المستحيلة بسبب الفروقات الحادة بين المفكرين .

ثم ان صرف النظر عن التفكير الوضعي وإنجازاته وإخضاع كل العقول والعلوم إلى المنهج التيولوجي الميتافيزيقي كمنهج عام وشامل .

هذا الحل قد يعيد إلينا الوحدة العقلية ولكن هل يمكن تحقيقه علميا؟ فمن استحقاقات هذا الحل القضاء ليس على الطريقة الوضعية فحسب، بل إنكار كل الانتصارات العلمية التي تحققت في التاريخ الإنساني انطلاقا من التفكير الوضعي . مثلا علينا أن نتنكر لاختراع الطباعة وإنجازات كوبرنيك و جاليليو و ديكارت و بيكون و نيوتن وغيرهم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية وأوصلوا لنا تراثا عقليا أورثونا إياه .ومن جانب آخر فإذا تراجعنا عن الوضعية كنمط للتفكير فهل سننجح في تجميد القدرة على التفكير؟ هل نستطيع الحد من تطور التفكير وإبقائه

جامدا على حاله؟ وهل نستطيع أن نتحكم في قوانين الطبيعة التي حكمت على المراحل السابقة بالفساد فنمنعها من أن تحدث النتيجة نفسها؟ من المؤكد أن جعل التفكير الوضعي شيء من قبيل العدم مستحيل شكلا ومضمونا .ثالثا : تعميم المنهج الوضعي وجعله منهجا كليا عاما وشاملا لكل ظواهر الكون [= وحدة المعرفة الوضعية]. ومن استحقاقاته القضاء على ما تبقى من الفكر الميتافيزيقي ومظاهره وأن يفهم الأفراد ظواهر الاجتماع اعتمادا على المنهج الوضعي بما في ذلك ظواهر الإنسان والمجتمع التي كانت تستبعد من التحليل الوضعي قبل أوجست كونت .(٤٥)

ما يميز الفلسفة الوضعية انها تعتبر كل الظواهر خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة ، ويقتصر عملنا على المتابعة للكشف الدقيق عن هذه القوانين – بعد ان عرفنا مدى العبث في أي بحث فيما يسمى (بالعلل) سواء الأولى او الغائية النهائية – واضعين نصب الأعين هدف إنقاص هذه القوانين الى اقل عدد ممكن . (٤٦)

ان تبني كونت لفلسفة وضعية أفضى عليه تبني منهجا هو الأخر وضعيا أيضا ، وبهذا كان لابد عليه ، من السير بالمنهج وفق قوانين معينة وثابتة ، وجدناها متمظهرة في أسلوبه الفلسفي ، ومن خلال أسس قام من خلالها بالدراسة والبحث ، لتمثل لديه الخطوة الأولى نحو جادة الطريق ، فنلاحظ انه استخدم ، أسس للدراسة ومنهج البحث فمن أهم أسس البحث الوضعي .

١. تشدد الوضعية كنمط تفكير علمي على إحلال فكرة القانون محل فكرة القوى الخارقة للعادة التي تحكمت طويلا بتفسير الظواهر العلمية .

هكذا فان الوصول إلى القانون العلمي الذي يحكم سير الظاهرة ويفسرها سيكون في إطار الوضعية المطلب الأول والمحور الأساسي الذي تدور عليه الدراسة والبحث .

٢. إن من مبادئ الفلسفة الوضعية أيضا إخضاع التخيل او التصوير الفلسفي الذي كانت تقوم عليه المناهج القديمة إلى الملاحظة . وهكذا ضُربت الفلسفة الثيولوجية والميتافيزيقية في الصميم.

٣. يستند منهج البحث الوضعي إلى إعطاء العلاقات التي تربط بين الظواهر الاجتماعية أهمية كبرى انطلاقا من أن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها مفسرة للكون ومظاهره وتسعى إلى الكشف عن طبائع الأشياء والقوانين التي تحكمها وهذا بخلاف المناهج القديمة التي لم تعطينا فكرة واضحة عن تحديدها للعلاقات بين مختلف الظواهر وعن الارتباط الحقيقي بينها .

٤. إذا كانت المناهج القديمة تنزع في تفسيرها للظواهر إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية والعلل الأولى مما يجعلها منتجة لمفاهيم جامدة غير قابلة للتطور فان الوضعية كفلسفة تهتم

بتحديد دائرة المعاني المطلقة وجعلها معاني نسبية مرنة قابلة للحركة والتطور بما يستجيب لنمو العقل ومستحدثات العصر ومتطلبات الظروف .

منهج البحث :

ثمة نوعين من البحوث التي تؤدى إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية ، ويستعمل أحد هذه الأنواع ما يسميه كونت بالوسائل المباشرة والآخر بالوسائل غير المباشرة . أما (الوسائل المباشرة):وهي الخطوات المنهجية التي نستخدمها لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها ومجموع هذه الخطوات تكوِّن قواعد منهج البحث الاجتماعي .وإما (الوسائل غير المباشرة) :تنتج هذه الوسائل التي لا تقل أهمية عن المباشرة من رحم العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بما عداه من العلوم الوضعية الأخرى التي تمده بصفة دائمة بنتائج وحقائق وقضايا لها أهميتها في ميدان البحث الاجتماعي

الوسائل المباشرة :. أولا – الملاحظة Observation .[٤٧]

ليست هي الإدراك المباشر للظاهرة او وصف للحوادث . اذ ثمة وسائل أخرى تكون مصاحبة لهذه التقنية بحيث تطور وتعمق من فهمنا للظاهرة الملاحظَة : مثلا : دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر التراث الأخرى .وتحليل ومقارنة اللغات. والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية .ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية . والاهتمام بكل مصادر المعرفة التي تساعد على الكشف العلمي. والسؤال : هل الملاحظة وسيلة أم أسلوب علمي ؟لان الظواهر الاجتماعية هي ظواهر عادية ومنتشرة ومتداخلة في صميم الحياة الفردية بحيث يكون الباحث نفسه مشاركا فيها قليلا او كثيرا ...ولان الظواهر الاجتماعية معقدة او كثيرة التغير ودائمة التفاعل بحيث أن الباحث قد لا تتوفر له الفرصة للإحاطة واليقظة بالظاهرة والإشراف عليها وملاحقتها ... ولان الباحث قد يخطئ في تأويل او إدراك ما يلاحظه في الظاهرة مما ينعكس على الاستنتاجات وبالتالي اختلاف عقول الباحثين في ملاحظة الظاهرة إياها . فإن كونت يرى انه لا بأس من اعتبار الملاحظة عاملا مساعدا للكشف العلمي عن قوانين الظواهر ولكن بدون الإسراف البالغ في الاعتماد عليها وتحويلها من وسيلة إلى أسلوب .

ثانيا : التجربة ، Experiment ، [٤٨]

يميز كونت في هذا السياق بين " التجربة الاجتماعية " التي تطبق على ظواهر المجتمع وبين " التجربة العلمية " التي تُجرى على الظواهر الطبيعية كالكيمياء والبيولوجيا . وما يهم كونت هو التجربة الاجتماعية .[٤٩]

وعليه نخلص بالقول ان منهجه يقوم على اعتماد العلوم على بعضها البعض ، لكن لكل علم منهجه الخاص به الذي تكشف عنه الدراسة التاريخية للعلم . والوسيلة الأولى للبحث العلمي عنده كما مر علينا هي الملاحظة . وما لم تكن الجملة مفيدة بمعنى ان لها أصلا في الواقع الموضوعي فأنها هراء . وهو لا يعني بالملاحظة مجرد الإحساس المادي بمعنى هيوم ، لكنها الملاحظة التي لها علاقة بقانون من القوانين . وبعد الملاحظة يأتي التجريب والمقارنة ، والتجريب أداة الطبيعة والكيمياء المثلى ، والمقارنة أداة علم الاجتماع ، ويكاد يكون هذا العلم من إبداع كونت خاصة ، حيث أطلق عليه علم الاجتماع ، وبعلم الاجتماع يحقق الإنسان لنفسه الوعي ويفهم التركيب المنطقي لعقله وينفذ الى المراحل الثلاثة التي مر بها . وأقر بفضل مونتيسكيو Montesquieu (١٦٨٩– ١٧٥٥) [٥٠] ،وكوندرسيه لأنهما كانا يعتقدان مثله ان الظواهر الاجتماعية تسير كذلك وفق قوانين يمكن استكشافها بأتباع المنهج الاستقرائي السليم ، ولكن عملية إنفاذ علم الاجتماع الى المرحلة الوضعية لم تظهر الا عند كونت .(٥١)

الخاتمة

عبر سير البحث في موضوع الدراسة(المنهج العلمي في فلسفة أوجست كونت) تم التوصل الى مجموعة من النقاط عدت اساسا في البحث وهي :-

١ – ان أوجست كونت هو أول من حاول بالموضوعية التجريبية نقد الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي بالتأكيد على أهمية الوقائع الجزئية لتحديد طبيعة المعرفة الموضوعية ، فهو يدحض تكرار دعوى المذهب الروحي في البلوغ عن طريق الملاحظة الداخلية والتفكير في الذات الى مبادئ العقل ،واستبعد هذا النقد علم النفس بوصفه علما لظاهرات الشعور بقدر ما يستهدف نظرية المعرفة مبنية على الملاحظة السيكولوجية التي تؤدي الى التحصيل المعرفي.

٢ – اتضح ان الفلسفة الوضعية هي نمط المعارف العلمية المتصلة بالإنسان والطبيعة معا وفقا لمنهج موحد. وعند كونت هي جملة العلوم الواقعية . ويذكر ستة علوم أساسية هي: الرياضيات ، علم الفلك ، علم الطبيعة ، علم الكيمياء ، علم الحياة ، علم الاجتماع . هذه العلوم مكتسبة بالاستقراء التجريبي الذي ذهب كونت الى عدم الاستغناء عنه.

٣ – ان الفلسفة الوضعية الجديدة التي جاء بها أوجست كونت أرادت ان يصار لمنهج علم الاجتماع ان يقوم على أسس مستمدة من مناهج علوم الطبيعة المختلفة ، سواء ملاحظة أو تجربة أو مقارنة أو استقراء يعتمد سبيل المنهج التاريخي . ثم تطور هذا المذهب ليكون المناخ الايجابي على الباحثين الغربيين في العلوم الإنسانية القرن التاسع عشر ، على الرغم من نشوء فلسفات معارضة أخرى لهذا الاتجاه.

٤ – لقد ذهب كونت الى استقلالية المنهج في البحث وان هذا جعله يتحدث فيه عن منهج وضعي يتصور ان تمكن فيما بعد من ان يجعله قبليا حقيقيا في المنهج وان يستمد منه تصوراته العلمية .

٥ – تقوم الفلسفة الوضعية العقلية بعرض القوانين المنسجمة مع العقل البشري والتي ما زالت تبحث بمناهج غير ملائمة . حيث ان كل فاعل وخصوصا كل كائن حي ، يمكن ان ينظر اليه تحت علاقتين – السكونية والحركة – أي تحت شروط معينة او أثناء العمل ، فمن الواضح ان كل الاعتبارات تضع نفسها تحت احدى هاتين العلاقتين ، ولا مناص من الخروج منهما سعيا لتحصيل المعرفة بصورتها الحقيقية.

٦ – توصل كونت الى قانون الأطوار الثلاثة ولم يخص به فقط تطور الإنسانية ، بل وأيضا تطور الفرد وامكانياته ، والجماعات ، وباقي العلوم الأخرى، ففيها جميعا تحل دراسة النسبي محل دراسة المطلق ، ومعرفة القوانين تحل محل البحث عن العلل والمسببات الأولى للظواهر العلمية المتعددة.

الهوامش

[١] – اسكتلندي ولد في ادنبره، واتجه الى دراسة القانون بجامعتها ، لكنه زهده وترك الجامعة في الخامسة عشر وانصرف الى القراءة الفلسفية وصياغة مذهبه الخاص ، ونشر أول واشهر كتبه ((رسالة في الطبيعة الإنسانية)). انظر : الحفني ، عبد المنعم ،الموسوعة الفلسفية ، المصدر نفسه ، ص٥١٨.

[٢] – فيلسوف ومنطقي واقتصادي انجليزي ، من دعاة الوضعية . مؤلفاته الرئيسية هي : ((نظام المنطق)) (١٨٤٣) ، ((مبادئ الاقتصاد السياسي)) (في مجلدين ١٨٤٨) ، ((مذهب المنفعة)) (١٨٦٤) . كان في الفلسفة من إتباع هيوم وبركلي وكونت . انظر : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٥١٨.

[٣] – سبتي ،محمد عوده ، آليات التفكير العقلي للفلسفة الغربية ، دراسة نقدية للفلسفة الحديثة والمعاصرة . أطروحة دكتوراه (مخطوطة)، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٤ .

[٤] – فيلسوف فرنسي كبير ، ويعد رائد الفلسفة في العصر الحديث ، وفي الوقت نفسه كان رياضيا ممتازا ، ابتكر الهندسة التحليلية .انظر : بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٤٨٨.

[٥] – ماري يوحنا أنطوان نيقولا كارتات ماركيز دي كوندرسيه ، فرنسي ولد ببيكاردي ، ، وكان من جماعة الموسوعيين التي تزعمت حركة التنوير الفرنسية ، وكان اصغرهم سنا والوحيد منهم الذي شارك في الثورة الفرنسية وتبوأ فيها مناصب رفيعة . انظر : الحفني ، عبد المنعم ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٣٨٣.

[٦] – بنروبي ، ج ، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ،ج١ ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ،ص١٠ ،

[٧] – بن جاء بالله ، حمادي ، العلم في الفلسفة ، دار الشؤون العامة ، افاق عربية ، (ب،ط) ، بغداد ، (ب،ت) ، ص١٤٧.

[٨] – ان معنى الشيء هو دلالته بالنسبة للمجتمع وهو يتوقف على الوظيفة التي يؤديها الشيء في نشاط الناس . وهو يتحدد بالماهية الموضوعية الواقعية للشيء الذي لايؤدي الى الوظائف التي تتحدد بطبيعته الخاصة . انظر : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٤٤٣.

[٩] – كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٥٠ .

[١٠] – ميد ، هنتر ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ، دار مصر للطباعة ،(ب،ط) ، القاهرة ،١٩٦٦ ، ص٨٨.

[١١] – تشتق اللفظة الفرنسية من اللاتينية أوب – جاكتوم وتعني الشيء الموضوع امامنا . وهو كل شيء يعرض للنظر . وان الموضوع بكلام أدق هو محتوى فكرنا ، ويقابل الذات المفكرة . انظر : جوليا ، ديديه ، قاموس الفلسفة ، المصدرالسابق ، ص٥٤٠

[١٢]– أوجست كونت ،(١٧٩٨–١٨٥٧ م) : فيلسوف فرنسي أسس المذهب الوضعي القائل ان لاسبيل الى المعرفة الا بالملاحظة والخبرة .من مؤسسي علم الاجتماع . معلوف ،لويس ،المنجد في الاعلام .مؤسسة انتشارات دار العلم ،ط٢٦ ، ١٣٨٣ ، ص ٤٧٩ .

[١٣] – النجار ، جميل موسى ، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية . دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ،٢٠٠٤ ، ص١٦٠ .

[١٤] – بيار دو (١٧٤٩–١٨٢٧) ، فلكي ورياضي فرنسي . اشتهر بفرضيته القائلة : ان اصل النظام الشمسي ضباب سديمي . انظر : معلوف ، لويس ، المنجد في الأعلام ، المصدر السابق ، ص٤٨٦.

[١٥] – بريل ، ليفي ، فلسفة أوجست كونت ، نقله الى العربية محمود قاسم ، السيد محمد بدوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (ب ،ط) ، القاهرة ، (ب،ت) ، ص٢٣٤ .

[16] - Claude Bernard ,Introduction a L etude de la medicine experimentale ,chronologie et preface par Francois Dagognet (paris : Garnier – Flammarion, 1966, introduction ,p , 26)

[١٧] – جورج وليام فردريك هيجل ، من أعظم الفلاسفة تأثيرا في تاريخ الفلسفة ن ويعد تاريخ الفلسفة منذ وفاته سلسلة من الخروج عليه ، لكن افكاره استوعبها خصومه ، ولايمكن ان نفهم الوجودية والماركسية والبراجماتية والفلسفة التحليلية والتزعة النقدية دون ان نفهم هيجل وتأثيره فيها جميعا في السلب والايجاب . انظر : الحفني ، عبد المنعم ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٥١١.

[١٨] – شيا ، محمد ، مناهج التفكير وقواعد البحث ، المصدر السابق ، ص٦٩ .

[١٩]– هي علم الحياة ، ابتدع هذه اللفظة في وقت واحد عام ١٨٠٢ ، كل من لامارك في فرنسا ، وترافيرانوس في المانيا . ويشمل هذا المفهوم الحياة الحيوانية والحياة النباتية في ان . انظر : جوليا ، ديديه ، قاموس الفلسفة . المصدر السابق، ص١١٣.

[٢٠] - Auguste Comte Cours de philosophie positive ,5 ems ed (Paris :Schleeicher frères ,19071908),VI,PP.150-151

[٢١]– بدوي ،عبد الرحمن ،مدخل جديد الى الفلسفة . مطبعة رسول ،ط١ ، (ب،م) ، ١٤٢٨ هـ ،ص٩٨

[٢٢] – ايكن ، هنري ، عصر الايديولوجيا ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة عبد الحميد حسن ،منشورات وزارة الثقافة ، (ب،ط) ، دمشق ، ١٩٧١ ،ص ١٦١ .

[٢٣] لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، بإشراف روزنتال ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،ط٢ ، بيروت ،١٩٨٠ ، ص ٣٩٧ .

[٢٤] – فلسفة علم ظهرت في القرن التاسع عشر . وهي فلسفة تقول ان المعرفة العلمية لايمكن ان تقوم الا على الوقائع التجريبية ، على الظواهر الخاضعة للمراقبة . ترفض الوضعية الماورائيات بوصفها تمرينا تأمليا خالصا والتي لايمكن ان تطلعنا على شيء صلب . العلم وحده يمكن ان يوصلنا الى نتائج صحيحة لانه يقوم على مراقبة الوقائع ونتائج التجارب . دورتيه،جان فرنسوا ، معجم العلوم الإنسانية . ترجمة جورج كتورة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط١ ،بيروت ، ٢٠٠٩ ،ص ١١٢٤ .

[٢٥]– ولد في بزنسون وتوفي في باريس . فيلسوف وعالم اقتصاد فرنسي . هو ابن بائع اجواخ ثري . فقد ثروته ستة ١٧٩٣ في مضاربة على سلع البلدان المستعمرة واصبح مستخدما صغيرا في قطاع التجارة ، فشهد منذ ذلك الحين عيوب الحضارة . يعتبره علماء الاقتصاد اشتراكيا . ومازال فورييه مقروء في فرنسا رغم قلة الواقعية التي تتميز بها غالبا تصوراته واسلوبه الذي عف عليه الزمن . من اهم مؤلفاته : نظريات الحركات الاربع والمصائر العامة (١٨٠٨)،ورسالة في التجمع الاهلي الزراعي (١٨٢٢) الذي اعيد طبعه سنة ١٨٣٤ بعنوان نظرية الوحدة الكونية . انظر : حوليا ، ديديه ، قاموس الفلسفة ، المصدر السابق، ص٣٩٥.

[٢٦] طرابيشي ، جورج ، معجم الفلاسفة . دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط٣ ، بيروت ، (ب،ت) ، ص٥٤١ .

[٢٧] – رايت ، وليم كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة .ترجمة محمود سيد احمد ،مراجعة امام عبد الفتاح امام ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، بيروت ،٢٠١٠ ، ص٣٩٥ .

[٢٨] – يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود الى الفكر بأوسع معانيه . وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجودا مستقلا عن الفكر . انظر : صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٣٣٧.

[٢٩] – مصطلح يستخدم في الفلسفة المثالية ليدل على الموضوع الأبدي اللامتناهي وغير المشروط والكامل والذي لايتغير ، ((أي الكامل في ذاته)) ، الذي لايتوقف على أي شيء أخر عدا نفسه ، ويحتوي في ذاته على كل شيء في الوجود . ويخلق كل شيء موجود . والمطلق في الدين هو الله ، وفي فلسفة فبخته (الأنا) ، وفي فلسفة هيجل المبدأ الكلي (الروح المطلق) وفي فلسفة شوبنهور (الإرادة)، وفي فلسفة برجسون (الحدس) . والمادية الجدلية تنحي مفهوم المطلق جانبا بأعتباره مفهوما غير علمي . انظر : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ، ص٤٨١.

[٣٠] – بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة . ج٢ ،سليمانزاده ، ط١ ، قم ، ١٤٢٧ هـ ، ص٣١٣ .

[٣١] – ولد في بروسنيتز في مورافيا وتوفي في فريبوغ – آن – بريزغو . فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهراتية . تتلمذ على برنتانو . درس الفلسفة في جامعات هال وغوتنغن وفريبورغ – آن – بريزغو . بعد تخصص في الرياضيات ، أصبح هوسرل في باديء الامر ، عالما في المنطق منكبا على (وصف) العمليات التي يقوم بها العقل ، واستخراج ((الماهيات))التي يدركها الذهن في العلاقات المنطقية . انظر : جوليا ، ديديه، قاموس الفلسفة ، المصدر السابق، ص٥٨١.

[٣٢] – شيا ، محمد ، مناهج التفكير وقواعد البحث ، المصدرالسابق ، ص٢٨ – ٢٩ .

[٣٣] – مجموعة مؤلفين ،تاريخ التفكير الاجتماعي .المصدر السابق ،ص٣١ .

[٣٤] – بريل ، ليفي ، فلسفة اوجست كونت ، المصدر السابق ، ٢٣٧.

[٣٥] – يفوت ، سالم ، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع . دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢١٨ .

[٣٦]– حباتر ، سعد عبد العزيز، نماذج من الفكر المعاصر، مطبعة جامعة عين شمس، (ب،ط)، القاهرة، ٢٠١١،ص ٤٤

[٣٧] – فيلسوف انكليزي . ولد في رينفتون ، بالقرب من بريستول ، وتوفي في قصر اواتس (في مقاطعة اسكس) ، التحق بجامعة اكسفورد عام ١٦٥٢ ، حيث در الاداب والفلسفة في باديء الامر . ثم الطب . وتعلم لوك من روبرت بويل العلوم الجديدة ونظرية الجسيمات والمنهج التجريبي ، وكانت اتجاهاته علمية اكثر منها ادبية . انظر : طرابيشي ، جورج ، معجم الفلاسفة، المصدر السابق، ص٥٩٨.

[٣٨] – الكونت دي سان سيمون ، مؤسس الاشتراكية الفرنسية ، من اسرة نبيلة ختى عليها الدهر ، تعلم على معلمين خصوصيين ، اشهرهم الموسوعي ديلامبير ، واشترك في الثورة الامريكية ن وفي الثورة الفرنسية ، وتخلى عن لقب كونت ، لكنه اعتقل لمدة عام ، وقيل ان القبض عليه كانت غلطة ، وكانت له صداقات بكبار العلماء والمفكرين ، الا انه كانت علاقته باوجست كونت كانت اوثقها ودامت سبع سنوات . انظر : الحفني ، عبد المنعم ، موسوعة الفلسفة ، المصدر السابق ،ص٢٣٢.

[٣٩] – يوحنا بوريدان ، فرنسي ، درس في باريس مع اوكام ، وعلم فيها ، واشتهر بكتابه المسمى ((النتائج))، ويعتبر من أفضل كتب المنطق في العصر الارسطي ، واول محاولة في تاريخ المنطق لتميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس . انظر : الحفني ، عبد المنعم ، موسوعة الفلسفة ، المصدر السابق،ص١١٧.

[٤٠] – كرم ، يوسف ،تاريخ الفلسفة الحديثة .مكتبة الثقافة الدينية المصدر السابق ،ص ٣٤٧.

[٤١] – سبتي ، محمد عودة ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

[٤٢] – لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية . المصدر السابق ، ص٣٩٧ .

[٤٣] – بنروبي ،ج ، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ، الجزء الأول ،المصدر السابق ، ص ١٣ .

[٤٤] – أيكن ، هنري ،عصر الايديولوجيا ، المصدر السابق ، ص١٥٢.

[٤٥] – http:// www. Veecos.net/ads/ads2.php

[٤٦] – ينظر : أيكن ، هنري ، عصر الايديولوجيا ، المصدر السابق، ص ١٥٦ .

[٤٧] – تطلق الملاحظة على ما يحكم فيه الحس ، سواء كان ذلك الحس من الحواس الظاهرة ، او الباطنة ،وهي إحدى صور المعرفة التجريبية ، تقوم على التوجه الى الشيء في يقظة وانتباه ، للإطلاع عليه كما هو دون تبدل او تغيير . انظر : صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج٢، المصدر السابق ، ص٤١٥.

[٤٨]– بحث في الظواهر عن طريق التأثير الايجابي فيها بخلق ظروف جديدة تتفق مع الأهداف التي يسعى اليها البحث ، او عن طريق تغير العملية في الاتجاه المطلوب . والتجربة جانب من الممارسة التاريخية الاجتماعية الإنسانية ، ومن ثم فهي مصدر المعرفة ومعيار لصدق الفروض والنظريات . انظر : لجنة من العلماء والأكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، المصدر السابق ،ص١١٠.

[٤٩] – حجازي ، أكرم ، النظرية الاجتماعية
http:wikibooks.org

[٥٠] – كاتب اخلاقي ومفكر وفيلسوف فرنسي ولد في قصر لابريد قرب بوردو ، أصبح محاميا في العام ١٧٠٨ ، ومستشارا في برلمان بوردو في العام ١٧١٤ ، ثم انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية في العام ١٧٢٧، ويعتبر مؤسس علم السياسة . انظر : جوليا ، ديديه،قاموس الفلسفة ، المصدر السابق،٥٤٣.

[٥١] ينظر : الحفني ، عبد المنعم ، الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف للطباعة والنشر ،(ب،ط) تونس ، ١٩٩٢ ،ص٣٨٢.

المصادر والمراجع

١ – ايكن ، هنري ، عصر الايديولوجيا ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة عبد الحميد حسن ،منشورات وزارة الثقافة ، (ب،ط) ، دمشق ، ١٩٧١ .
٢ – بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة . ،سليمانزاده ، ط١ ، قم ، ١٤٢٧ هـ.
٣ – بدوي ،عبد الرحمن ،مدخل جديد الى الفلسفة . مطبعة رسول ،ط١ ، (ب،م) ، ١٤٢٨ هـ .
٤ – بريل ، ليفي ، فلسفة اوجست كونت . ترجمة احمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (ب، ط) ، القاهرة ، ١٩٤٩.
٥ – بن جاء بالله ، حمادي ، العلم في الفلسفة ، دار الشؤون العامة ، افاق عربية ، (ب،ط) ، بغداد ، (ب،ت).
٦ – بنروبي ، ج ، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ،ج١ ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت ،١٩٨٠.
٧ – جوليا ، ديديه ، قاموس الفلسفة ، نقله الى العربية فرنسو أيوب واخرون ، مكتبة أنطوان ،ط١ ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٨ – حباتر ، سعد عبد العزيز، نماذج من الفكر المعاصر، مطبعة جامعة عين شمس، (ب،ط)، القاهرة، ٢٠١١.
٩– الحفني ، عبد المنعم ، الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف للطباعة والنشر ،(ب،ط) تونس ، ١٩٩٢ .
١٠ – دورتيه،جان فرنسوا ، معجم العلوم الإنسانية . ترجمة جورج كتورة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط١ ،بيروت ، ٢٠٠٩ .
١١ – ريكمان ،هـ .ب ،منج جديد للدراسات الانسانية .مكتبة مكاوي ،ط١ ، بيروت ،١٩٧٩.
١٢ – رايت ، وليم كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة .ترجمة محمود سيد احمد ،مراجعة امام عبد الفتاح امام ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، بيروت ،٢٠١٠ .
١٣ – زيدان ، محمود فهمي ، الاستقراء والمنهج العلمي ، دار المعارف الجامعية ، (ب،ط) ، الإسكندرية ، ١٩٨٨
١٤ – السماك ، محمد أزهر سعيد ، قبيس سعيد الفهادي ، اصول البحث العلمي ، مطبعة جامعة صلاح الدين ،ط٣ ، (ب،م) ، ١٩٨٩.
١٥ – سبتي ،محمد عوده ، آليات التفكير العقلي للفلسفة الغربية ، دراسة نقدية للفلسفة الحديثة والمعاصرة . أطروحة دكتوراه (مخطوطة)، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٤. .
١٦ – شيا ، محمد ، مناهج التفكير وقواعد البحث .المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط٢ ،بيروت ، ٢٠٠٨ .
١٨ – صليبا ، جميل، المعجم الفلسفي ، ج١، دار الكتاب اللبناني ،(ب،ط)،بيروت ،(ب،ت) .
١٩ – طرابيشي ، جورج ، معجم الفلاسفة . دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط٣ ، بيروت ، (ب،ت).
٢٠ – كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٩ .
٢١ – قنصوه ، صلاح ، الموضوعية في العلوم الإنسانية .دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،(ب،ط)بيروت ، ٢٠٠٧، .

٢٢- لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين ، الموسوعة الفلسفية ، بإشراف روزنتال ، دار الطليعة للطباعة والنشر ،ط٢ ، بيروت ،١٩٨٠ .
٢٣ – مجموعة من المؤلفين ، تاريخ التفكير الاجتماعي . دار المسيرة ،ط١ ، عمان ،٢٠١١ .
٢٤ – معلوف ،لويس ،المنجد في الاعلام .مؤسسة انتشارات دار العلم ،ط٢٦ ، ١٣٨٣ .
٢٥ – ميد ، هنتر ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ، دار مصر للطباعة ،(ب،ط) ، القاهرة ،١٩٦٦ .
٢٦ – مهدي ، غادة عبد الستار ، الاستقراء والاستدلال في الفلسفة الحديثة ، رسالة ماجستير مخطوطة ، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ .
٢٧ – النجار ، جميل موسى ، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية . دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ،٢٠٠٤ .
٢٨ – يفوت ، سالم ، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع . دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٦.
٢٩ – – نصري ، هاني يحيى، منهج البحث العلمي ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٣٠ – – نعمان ، منصور ، غسان ذيب النمري ، البحث العلمي حرفة وفن ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، ط١ ، الاردن ، ١٩٨٨.
31 -Claude Bernard ,Introduction a L etude de la medicine experimentale ,chronologie et preface par Francois Dagognet (paris : Garnier – Flammarion, 1966, introduction ,p , 26)
32 -Auguste Comte Cours de philosophie positive ,5 ems ed (Paris :Schleeicher frères ,19071908),VI,PP.150-151

Sources and references

1-Aiken, Henry, The Age of Ideology, Translated by Mohiuddin Subhi, Review by Abdul Hamid Hassan, Publications of the Ministry of Culture, (B, I), Damascus, 1971.
2- Badawi, Abdul Rahman, Encyclopedia of Philosophy. Suleimanzadeh, 1st Floor, Qom, 1427 AH.
3- Badawi, Abdul Rahman, a new introduction to philosophy. Rasoul Press, 1st edition, (B, M), 1428 AH.
4- Braille, Levy, Auguste Conte Philosophy. Translated by Ahmed Amin, Press Committee of Authorship, Translation and Publishing, (b, i), Cairo, 1949.
5- Bin Bin Allah, Hammadi, Knowledge in Philosophy, House of Public Affairs, Arab Horizons, (B, I), Baghdad, (B, T.(
6-Penroubi, C, Sources and Streams of Contemporary Philosophy in France, Part 1, translated by Abdel-Rahman Badawi, Arab Foundation for Studies and Publishing, 2nd edition, Beirut, 1980.
7-Julia, Didier, Dictionary of Philosophy, transferred to Arabic by Francesco Ayoub and others, Antoine Library, 1st floor, Beirut, 1992.
8-Habater, Saad Abdel Aziz, Models of Contemporary Thought, Ain Shams University Press, (B, I), Cairo, 2011.
9-Al-Hefny, Abdel Moneim, The Philosophical Encyclopedia, Dar Al-Maarif for Printing and Publishing, (B, I) Tunis, 1992.
10-Two sessions, Jean-François, Glossary of Humanities. Translated by George Kattoura, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1st floor, Beirut, 2009.

11-Rickman, H.B., A New Approach to Humanities. Makkawi Library, 1st Floor, Beirut, 1979.
12- Wright, William Klee, History of Modern Philosophy, translation of Mahmoud Sayed Ahmed, review by Imam Abdel-Fattah Imam, Al-Tanweer Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, Beirut, 2010.
13-Zidan, Mahmoud Fahmy, Induction and the Scientific Method, University Knowledge House (B, I), Alexandria, 1988
14- Al-Sammak, Muhammad Azhar Saeed, Qubais Saeed al-Fahdi, Principles of Scientific Research, Salahuddin University Press, 3rd edition (B, M), 1989.
15- Sabti, Muhammad Odeh, Mechanisms of Reasoning Thinking for Western Philosophy, A Critical Study of Modern and Contemporary Philosophy. PhD thesis (manuscript), submitted to the Faculty of Arts, University of Kufa, 2004.
16-Shia, Mohamed, Thinking Approaches and Research Bases. University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 2nd edition, Beirut, 2008.
18-Saliba, Jamil, The Philosophical Lexicon, Part 1, Lebanese Book House, (B, I), Beirut, (B, T.(
19-Tarabishi, George, A Dictionary of Philosophers. The Vanguard House for Printing and Publishing, 3rd floor, Beirut, (B, T.(
20-Karam, Youssef, History of Modern Philosophy, Library of Religious Culture, 1st floor, Cairo, 2009.
21-Qinsuh, Salah, Objectivity in the Humanities. Dar Al Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, (B, I) Beirut, 2007.
22-A Committee of Soviet Scientists and Academics, The Philosophical Encyclopedia, supervised by Rosenthal, Dar Al-Tale'ah for Printing and Publishing, 2nd edition, Beirut, 1980.
23-Collection of authors, History of Social Thinking. Dar Al Masirah, 1st floor, Amman, 2011.
24-Maalouf, Lewis, upholstered in the media, Dar Al-Alam Spreading Corporation, 26th edition, 1383.
25-Mead, Hunter, Philosophy Types and Problems, Translated by Fouad Zakaria, Misr Printing House, (B, I), Cairo, 1966.
26-Mahdi, Ghada Abdel Sattar, Induction and reasoning in modern philosophy, MSc manuscript, submitted to the College of Arts, University of Baghdad, 2001.
27-The Carpenter, Jamil Musa, Studies in Critical History Philosophy. General Cultural Affairs House, 1st floor, Baghdad, 2004.
28-Miss, Salem, Contemporary Philosophy of Science and Its Concept of Reality. The Vanguard House for Printing and Publishing, 1st floor, Beirut, 1986.
29-Nasri, Hani Yahya, Scientific Research Methodology, The Glory of the University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1st edition, Beirut, 2004.
30-Numan, Mansour, Ghassan Deeb Al-Nimri, Scientific Research, Craft and Art, Al-Kindy Publishing and Distribution House, 1st edition, Jordan, 1988.
31-Claude Bernard, Introduction a L etude de la medicine experimentale, chronologie et preface par Francois Dagognet (paris: Garnier - Flammarion, 1966, introduction, p, 26)
32-Auguste Comte Cours de philosophie positive, 5 ems ed (Paris: Schleeicher frères, 19071908), VI, PP.150-151